سعيد بن محمد آل ثابت



المنشآت في الحلي

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في



المُنشآت

في الحُليّ

سعيد بن محمد آل ثابت

المُنشّآت في الحُلي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

أولاً: تمهيد:

لقد كرم الإسلام المرأة تكريما عظيما، كرمها باعتبارها (أُمّاً) يجب برها وطاعتها والإحسان إليها، وجعل رضاها من رضا الله تعالى، وأخبر أن الجنة عند قدميها، أي أن أقرب طريق إلى الجنة يكون عن طريقها، وحرم عقوقها وإغضابها ولو بمجرد التأفف، وجعل حقها أعظم من حق الوالد، وأكد العناية بها في حال كبرها وضعفها، وكل ذلك في نصوص عديدة من القرآن والسنة.

ومن ذلك: قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا" (الأحقاف:15)، وقوله: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " (الإسراء:23- 24).

وروى ابن ماجه عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ: قَالَ: وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ارْجِعْ فَبَرَّهَا. ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْجَانِبِ الآخَرِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَ: وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا. ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَ: وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ. صححه الألباني، وهو عند النسائي بلفظ: "فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا".

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ.

وقد جعل الإسلام من حق الأم على ولدها أن ينفق عليها إذا احتاجت إلى النفقة، ما دام قادرا مستطيعا، ولهذا لم يعرف عن أهل الإسلام طيلة قرون عديدة أن المرأة تُترك في دور العجزة، أو يخرجها ابنها من البيت، أو يمتنع أبناؤها من النفقة عليها أو تحتاج مع وجودهم إلى العمل لتأكل وتشرب.

وكرم الإسلام المرأة زوجةً، فأوصى بها الأزواج خيرا، وأمر بالإحسان في عشرتها، وأخبر أن لها من الحق مثل ما للزوج إلا أنه يزيد عليها درجة، لمسئوليته في الإنفاق والقيام على شئون الأسرة، وبين أن خير المسلمين أفضلُهم تعاملا مع زوجته وحرم أخذ مالها بغير رضاها، ومن ذلك قوله تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" (النساء:19)، وقوله: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة:228).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا" رواه البخاري ومسلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي" رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وكرمها بنتا، فحث على تربيتها وتعليمها، وجعل لتربية البنات أجرا عظيماً، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ" رواه مسلم.

وروى ابن ماجه عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" صححه الألباني. وقوله: (من جِدَته) أي من غناه.

وقد تجتمع هذه الأوجه في المرأة الواحدة، فتكون زوجة وبنتا وأما وأختا وعمة وخالة، فينالها التكريم من هذه الأوجه مجتمعة.

وبالجملة؛ فالإسلام رفع من شأن المرأة، وسوى بينها وبين الرجل في أكثر الأحكام، فهي مأمورة مثله بالإيمان والطاعة، ومساوية له في جزاء الآخرة، ولها حق التعبير، تنصح وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله، ولها حق التملك تبيع وتشتري، وترث، وتتصدق وتهب، ولا يجوز لأحد أن يأخذ مالها بغير رضاها، ولها حق الحياة الكريمة، لا يُعتدى عليها، ولا تُظلم، ولها حق التعليم، بل يجب أن تتعلم ما تحتاجه في دينها.

ثانياً: مقدمات:

1. المرأة قبل الإسلام:

إن من صفحات العار على البشرية، أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر، لم تمر حضارة من الحضارات الغابرة، إلا وسقت هذه المرأة ألوان العذاب، وأصناف الظلم والقهر.

فعند الإغريقيين قالوا عنها: شجرة مسمومة، وقالوا هي رجس من عمل الشيطان، وتباع كأي سلعة متاع.

وعند الرومان قالوا عنها: ليس لها روح، وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار، وتسحب بالخيول حتى الموت.

وعند الصينيين قالوا عنها: مياه مؤلمة تغسل السعادة، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حية، وإذا مات حُق لأهله أن يرثوه فيها.

وعند الهنود قالوا عنها: ليس الموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة، بل وليس للمرأة الحق عند الهنود أن تعيش بعد ممات زوجها، بل يجب أن تحرق معه.

وعند الفرس: أباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء، ويجوز للفارسي أن يحكم على زوجته بالموت.

وعند اليهود قالوا عنها: لعنة لأنها سبب الغواية، ونجسة في حال حيضها، ويجوز لأبيها بيعها.

وعند النصارى: عقد الفرنسيون في عام 586م مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟! وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيراً" قرروا أنَّها إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب". وأصدر البرلمان الإنكليزي قراراً في عصر هنري الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الإنجيل(المحرف)؛ لأنَّها تعتبر نجسة.

وفي العصر الحديث أصبحت المرأة تطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكي تبدأ في العمل لنيل لقمة العيش، وإذا ما رغبت في البقاء في المنزل فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها وثمن طعامها وغسيل ملابسها!

وعند العرب قبل الإسلام: تبغض بغض الموت، بل يؤدي الحال إلى وأدها، أي دفنها حية أو قذفها في بئر بصورة تذيب القلوب الميتة "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم".

ومن قارن بين حقوق المرأة في الإسلام وما كانت عليه في الجاهلية أو في الحضارات الأخرى علم حقيقة ما قلناه، بل نجزم بأن المرأة لم تكرم تكريما أعظم مما كرمت به في الإسلام.

2. المرأة بعد الإسلام:

تأمل قول الله تعالى عن حال الجاهلية: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم" (النحل: 58)، وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ".

جاء الإسلام، وأمر الله لهن بحقوق فقال: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوف"، "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"، و "لا تَعْضُلوهُنَّ"، "وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْموسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ"، و "أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ"، "وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضيِّقُوا عَلَيْهِنَّ"، و "آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَة". "وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ"، "وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ"، "وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُم"، "وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنّ"، و "لا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً". و "لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً". "وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُن". وجاء ليقول: "فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ".

وجاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل صلى الله عليه وسلم من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة " رواه الترمذي وصححه الألباني. وكان يؤتى صلى الله عليه وسلم بالهدية، فيقول: "اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة" رواه البخاري في الأدب المفرد وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة. وهو القائل: "استوصوا بالنساء خيراً" رواه مسلم. وقال: "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر" رواه مسلم. وصدح ب: "إنما النساء شقائق الرجال" رواه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة. وافتخر فقال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وأورث هذا المعنى في سبيل الإنفاق فقال: "أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك" رواه مسلم.

وهو القائل: "من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة" رواه الترمذي وقال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره. ومن هديه: "عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد" رواه البخاري ومسلم، وكان كذلك مع نسائه، وهن أيضاً في حال الحيض، وهو القائل: "وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك" رواه البخاري.

ودونك بعض الأحكام المُبينة لبعض ذلك:

- إذا خان الرجل المرأة فعقوبته الرجم حتى الموت.
- إذا عدّد ولم يعدل بينهما حشر يوم القيامة شقه مائل.
- إذا كتب لها مهرا ولم يعطها إياه فهو سارق.
- إذا طلقها بعد أن دخل بها لا يحق له أن يأخذ شيئا مما أعطاه لها.
- إذا أكل حقها في الميراث فقد تعدى حدود الله ومن يتعدى حدود الله فهو ظالم نفسه.
- إذا ضربها وأهانها فهو لئيم وإذا أكرمها فهو كريم.
- إذا هجرها أكثر من أربعة أشهر لها الحق بطلب التفريق.
- لا يحق له أن يعاملها كأمه وإن قال لها أنت علي كظهر أمي سيصوم ستين يوما أو يعتق رقبة أو يطعم ستين مسكينا.
- إذا كرهها فليصبر فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.
- وإذا طلقها فعليه أن لا ينسى فضلها.
- قوامته عليها تكليف وطاعتها له جهاد في سبيل الله. وهو مسؤول عنها في طعامها ومشربها ومسكنها وملبسها ضمن قدراته المالية.
- إن أمرها بالمعروف أطاعته وإن أمرها بغيره فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- ثم بعد ذلك إن أرادت فراقا فلها أن ترد عليه مهره وتخلعه.

- ولأجلها خاض النبي حربا ضد بني قينقاع.
- وللدفاع عنها كان الموت شهادة في سبيل الله.
- ولأجلها حرك المعتصم جيشه إلى عمورية.
- ولسمعتها وضع الله حد القذف ثمانين جلدة.
- والأهم من ذلك كله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الزم قدميها فثم الجنة".

ثالثاً: لماذيات؟

حقهن في الإسلام وفضيلة ذلك.

الزوجات والنساء عموماً:

عن عمرو بن الأحوص عن رسول الله في حجة الوداع أنه قال: "ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوانٌ عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجعِ واضربوهن ضربًا غير مبرّحٍ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا ألا إنَّ لكم على نسائكم حقًّا. ولنسائكم عليكم حقًّا فأما حقُّكم على نسائكم فلا يوطئنَ فُرُشَكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقُّهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن". رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وانظر كيف مثلها النبي صلى الله عليه وسلم بالعاني وهو الأسير، رحمة بها وعناية ومداراة، وعن أبي هريرة مرفوعاً: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً" متفق عليه، والأمر هنا بأن استوصوا، أي: اطلبوا الوصية فيهن، وتواصوا عليهن وفيهن بالخير، ولا تذهلون عن نسيج خلقها الذي قام معوجاً، وقال صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. وتأمل هذا الخبر في معنى الأمر، وكيف نمذج الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه أنه خيرنا عند أهله في بيئة قاحلة جافة المشاعر حينئذ، ليرطب ذلك الجو، ويحفز نفوس الرجال لبدهيات الفطرة والشريعة، ويعيد الأمور لميزانها الصحيح.

البنات خصوصاً:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات" رواه أحمد. هُن المؤنسات الغاليات، هكذا صدح بلك النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن كانت بشرى سوداء على أبيها، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، وبعد أن كانت توأد حية، ها هي الآن وصية رسول الله.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ وُلِدَتْ له ابنةٌ فلم يئِدْها ولم يُهنْها، ولم يُؤثِرْ ولَده عليها (يعني الذكَر) أدخلَه اللهُ بها الجنة "رواه أحمد، وصححه الحاكم و وافقه الذهبي، وحسنه الشيخ أحمد شاكر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ عال جارتين (بنتين) حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه ". رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتْ امرأةٌ معها ابنتانِ لها تسأل، فلم تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأَعطيتُهَا إيَّاها، فَقَسَمَتْهَا بينَ ابنتيْها ولم تأْكُلْ منها، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته، فقال: "من ابْتُلِي من هذهِ البناتِ بشيءٍ كُنَّ لهُ سِترًا من النار" رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَن عال ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا، حتَّى يَبِنَّ (ينفصلن عنه بتزويج أو موت)، أو يموتَ عنهنَّ كُنْتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتينِ -وأشار بأُصبُعِه الوسطى والَّتي تليها- " رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كان له ثلاث بنات فصبَرَ علَيْهِنَّ، وأطعَمَهُنَّ وسقاهُنّ، وكساهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ (سعته وطاقته)، كُنَّ لَهُ حجاباً مِن النارِ يومَ القيامة "، وفي رواية الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لم يحدد النبي صلى الله عليه وسلم عددا من البنات، فقال: "مَن ابتُلي بِشَيءٍ من البناتِ فصبرَ عليهِنَّ كُنَّ له حجاباً من النَّار".

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: "من ابتلي بِشَيءٍ من البناتِ" إِنَّمَا سَمَّاهُ اِبْتِلاء لأَنَّ النَّاس يَكْرَهُونَهُنَّ فِي الْعَادَة وَقَالَ الله تعالَى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدهمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهه مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيم" (النحل:58).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخَوات، أو ابنتان أو أُختان، فأحسَن صُحبتَهنَّ واتَّقى اللهَ فيهنَّ فلهُ الجنَّةَ " رواه الترمذي.

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: "أو" للتنويع لا للشك، ففي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَن كان له ثلاثُ بناتٍ يُؤدِّبُهنَّ ويرحَمُهنَّ ويكفُلُهنَّ وجَبَت له الجنَّةُ ألبتةَ"، قيل يا رسولَ اللهِ: فإن كانتا اثنتينِ؟، قال: "وإن كانتا اثنتين"، قال: فرأى بعضُ القوم أن لو قال: واحدةً، لقال: "واحدة". رواه أحمد وصححه الألباني.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله علي وسلم: "ليسَ أَحَدٌ من أمتي يعولُ ثلاثَ بنات، أو ثلاثَ أخوات، فيُحْسِنَ إليهنَّ إلا كُنَّ لهُ سِترًا من النارِ" رواه الطبراني وصححه الألباني.

قال المباركفوري: (واختُلِفَ في المراد بالإحسان هل يقتصر به على قدر الواجب، أو بما زاد عليه؟، والظاهر الثاني، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن بزوج أو غيره).

وها نحن الآن تهولنا هذه الحفاوة العظيمة في السنة النبوية والتي تحث على تربية البنت والعناية بها كانت بنتاً أو أختاً، واحتساب الأجر العظيم فيها، وكيف تلونت المفردات والمعاني والجزاء أيضاً؛ لتثبت لنا ولهن وللعالم بأسره كرامتها وثقلها في ميزان الشريعة، ومن ثم الحث على التطبيق الفعلي لما ورد في النصوص.

الحرمان العاطفي (جريمة العصر).

العاطفة العالية عند جنس الأنثى جعلها كالقارورة من الزجاج يخشى عليها من أي شيء، عن أنس رضي الله عنه: كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في سفرٍ، وكان معه غُلامٌ له أسْوَدُ يُقالُ له أنْجَشَةُ، يَحْدُو، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "ويْحَكَ يا أنْجَشَةُ، روَيْدَكَ بالقَواريرِ". رواه البخاري ومسلم. ولذا كانت عنايته عليه الصلاة والسلام تفوق الوصف ببناته وزوجاته، سيما في رعاية عواطفهن ومشاعرهن، وفي أيامه الأخيرة صلى الله عليه وسلم كان له هذا الموقف الفريد الذي ترويه لنا زوجه عائشة رضي الله عنها فتقول: كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فلما رآها رحّب بها فقال: "مرحبا بابنتي"، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارّها فبكت بكاء شديدا، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين؟! فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، قالت: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما الآن فنعم: أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين، وأني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: "يا فاطمة، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟" قالت: فضحكْتُ ضحكي الذي رأيت. رواه مسلم. ونحن نعلم أنها لو لم تكن تحبه لم تكن لتبكي على فراقه مع كونها متزوجة، ولكن كان أبوها العطوف يلاطفها (بابنتي)، وهي أم وزوجة، ويضمها إلى صدره، وهي كذلك فهل بنت مثل فاطمة تلام على فقد والد مثل رسول الله محمد؟!

ويروي ثوبان رضي الله عنه حديثاً آخر فيقول: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وأنا معه، وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت: هذه أهداها إليّ أبو حسن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا فاطمة، أيسرك أن يقول الناس: فاطمة بنت محمد وفي يدك سلسلة من نار؟" ثم خرج ولم يقعد، فعمدت فاطمة إلى السلسلة فاشترت غلاما فأعتقته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار". رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين. وهنا يتجلى لطف العبارة الحانية الممتلئة بالحب، والخوف، وقد تركت قلب فاطمة مقتنعاً بما يقوله الأب الذي أحسن النهي، وأحسن اختيار العبارة.

إنّ كثرة المشاكل والقضايا غير الأخلاقية فيما يخص الفتيات سواء من الابتزاز الذي جرّ لهن الويلات، أو وجودهن في الخلوات غير الشرعية، أو سهر بعضهن خارج المنزل، أو التعرف على الشباب وحضور منتدياتهم، أو التعلق بالشبان خاصة المغنين ولاعبي الكرة والمشهورين بشكل عام لهو أحد آثار ذلكم الهجران العاطفي والتربوي، وسببه الأصيل ضعف العناية بتنشئة الفتاة وتربيتها وتوجيهها عاطفياً ووجدانياً، وبحث احتياجاتها وخاصة العاطفية لاسيما من الوالدين. ولنعلم

أن أعظم ما تعانيه الفتيات من الآباء هو الحرمان العاطفي، وإن اتجاهات الوالدين المشبعة بالحب والقبول والثقة تساعد البنت على أن تنمو وهي راضية عن ذاتها وتحب الخير لغيرها، ومن ناحية أخرى فإن المناخ الأسري المضطرب يهدد كيان هذه الفتاة، ويستحث مشاعر الجفاء، والحرمان.

وقد كشفت لنا دراسة صادرة من لجنة الإصلاح الأسري بمحافظة عنيزة: أن 52.2% ممن يبحثون خلف العلاقات الزائفة من الفتيات يبحثون عن مشاعر الحب والدفء، و32.2% كانت ردات فعل غاضبة وانتقام ضد الوالدين. وفي الدراسة أيضاً أن 50% من البنات المحكوم عليهن بالسجن بارتكابهن أفعال جنائية محرمة كن يشعرن بالحرمان العاطفي الأسري من الوالدين، وبسبب سلوك الأشقاء، وقد تحددت عوامل مؤثرة في الحرمان العاطفي عند بنات الأسر حسب الترتيب التالي:

أولاً: شعور البنت بعدم العدل من الوالدين بالمشاعر وانحيازهم للآخرين وخاصة الذكور.

ثانياً: الشعور بالحرمان من عطف الأم.

ثالثاً: الشعور بعدم اهتمام الأب والسؤال عن أحوال البنت.

رابعاً: كثرة غياب الأب عن المنزل وعدم مجالسته للبنت.

خامساً: عدم استقرار العلاقة الزوجية بين الوالدين.

وهذه الدراسة تجرد لنا جانب من أخلاقياتنا في البيوت مع الفتيات.

وفي مجلة شهرية أمريكية مسيحية توزع لقرابة 8مليون نسخة على مستوى العالم تحتل غلاف المجلة لعام 1986م شهر سبتمبر صورة فتاة بائسة اسمها سالي تبدو على وجهها علامات الحزن والخوف، ونشرت لها المجلة كلاماً تقول فيه مارست الجنس وأنا في الثامنة من عمري مع ولد في الخامسة عشرة، وفعلت ذلك لأني لم أحصل على الحب والاهتمام من والدي، وأنا أحتاج إلى الحب، ولكن والدي لم يهتمان بي، ولم يتغير شيء داخل البيت، وحملت من صديقي وأنا في الخامسة عشرة من عمري، واعتبرني صديقي مسئولة عن ذلك، وانصرف عني، ولم يكن لدي من مكان أتجه إليه، وقد وقعت في الفخ، ولجأت إلى الإجهاض، والآن أنا أخاف من أن أرتبط بأي موعد مع الشبان، وأنا أبكي كل ليلة إلى أن يدركني النوم. فهل تدرك ياولي الفتاة أي العواقب تنتظر فلذة كبدك إذا ما قمت بدلالها، وإشباع عاطفتها؟

فضيلة التربية والاهتمام بالأبناء:

لا شك أن الفتاة جزء من الأسرة، وهي من الآثار التي إن تركها الوالدين حسنة كانت عملاً صالحاً، والمتأمل في حياة الأنبياء والرسل لن يألوا جهداً في صلاح ذرياتهم، وها هو نوح عليه السلام بقلب الأب الحنون يرجو نجاة ابنه، يقول الله عنه: "وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ" (هود:42)، وكاد قلبه أن يتقطع لما علم بفوات ابنه مع ركب النار، فقال: "وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ" (هود:45)، وهذا إبراهيم عليه السلام وبنيه يوصون أبناءهم بل يأخذون العهد على ذرياتهم "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" (البقرة:132)، ولمحة لقمان وهو يعظ ابنه ويحرص على وصيته في أمور دينه، والتي أثبتها القرآن في سورة لقمان حتى تقوم الساعة، والأحاديث جلية في ذلك، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له" رواه مسلم، فما الذي لم يجعل الأنثى ضمن كوكبة الأبناء فيعتنى بها، وتكون من الولد الصالح والثمرة المدرة على والديها، قال سبحانه: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ" (الطور:21)، وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلُّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رعيَّتِه، فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، والرجلُ في أهلِه راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأةُ في بيت زوجِها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيَّتِها، والخادمُ في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته. قال فسمعتُ هؤلاء من النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأحسَبُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: والرجلُ في مالِ أبيه راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه" رواه البخاري، فالبعض قد يستهين في كون الأنثى مسؤولاً عن صلاحها وأنها مشروعاً صالحاً باقياً إما في أسرتها المستقلة لاحقاً أو في أبنائها ووظيفتها، ولا شك أن هذا فهم سقيم، فهي جزء لا يتجزأ من مسؤولية الوالدين، ومشروعهم المثمر في أبنائهم، ولا يعطى ذلك من اتكأ على أريكته ينتظر صلاحهن، أو من أسلمت فتياتها لغيرها تربيهن على غير شعب الإيمان والقيم الإسلامية، ومن تأمل قول الحق: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" (الكهف:80)، وقول الله: "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف:82)، أيقن بأن صلاح الأبوين سر في صلاح الأبناء وإيقاظ أهل الخير لهم، وسر آخر في قوله تعالى: "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ" (ابراهيم:40)، وهو الدعاء الذي فيه التبرؤ من الحول والقوة، وذلك مظنة القبول من الله.

كيف نرفق بالقوارير:

تأملات في القرآن:

- **مشهد قرآني بهي.**

قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 22 - 28]

في هذا المشهد القرآني العظيم وقفات لا شك أنها من أعظم العبر:

- حقيقة المروءة، وتأمل موسى عليه الصلاة والسلام رغم خوفه وضعفه وغربته وسخونة الجو وكثرة الرجال، إلا أن مشهد الفتاتين أقام حظ مروءته، فكفاهن دون أي مردود، أو اشتراط. ومن ذلك حديث عائشة أمّ المؤمنين في بدء الوحي، والذي فيه قول خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلَّا واللَّه ما يخزيك اللَّه أبدًا، إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضَّيف، وتعين على نوائب الحقّ..."رواه البخاري. فهذه أخلاقها التي سادوا بها وعبروا بها عن قيم السماء.
- "الحياء لا يأتي الا بخير"، الحياء منعهن عن الرجال، الحياء أكسبهن مشياً معتدلا "تمشي على استحياء" وكيف أثبت الله هذه المشية المعتدلة رغم كفاية الإخبار بالمشي فقط، ولكن لعل بنات جنسها يعون أن العيون ترصد وتفرق بين خطوات وخطوات، الحياء أكسبهن حديثاً معتدلا فقالت إحداهن " إن أبي يدعوك"، دون أي تلكؤ أو خضوع بالقول، ولم تضف الضمير لنفسها بل لأبيها درءاً للشبهة، وصوناً للعفاف، الحياء أكسبهن أمنيات فاضلة فقال إحداهن: "يا أبت استأجره" صوناً لها ولأختها عن المزاحمة والخروج رغم الحاجة، ومع ذلك أتى الحياء لهن بالخير، فقد كفاهن الله الخروج بالقوي الأمين، وكان زوجاً لإحداهن، فلا تجزع الحرة من جلبابها، وخدرها، وعفافها، الذي ربما يتسلل الشيطان لها بأنه سيفوت حظها الدنيا، لكن لترفع شعار "الحياء لا يأتي إلا بخير". وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"، وفي الصحيحين

واللفظ للبخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ، وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ". فالحياء كله خير ولا يأتي إلا بخير، ففي الصحيحين عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ". وفي رواية لمسلم: "الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ". وأخرج الدارقطني والبيهقي عن قُرَّة بن إياس رضي الله عنه: قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذُكِرَ عِنْدَهُ الْحَيَاءُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ". صحيح التَّرغيب.

قال عمر رضي الله عنه في قوله تعالى: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ". قال: ليست بِسَلْفَع من النساء (وهي الجريئة)، خرّاجة ولاّجة، واضعة ثوبها على وجهها. تفسير الطبري. قال ابن القيم رحمه الله: الحياء مشتق من الحياة، فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا، شقي في الآخرة، وبين الذنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم، فكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه. اه.

- القوامة لمن؟ في إكمال الآيات قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ}﴾ [القصص: 29 - 34]. وها بلا شك يجعلنا نستحضر بعض المشاهد المؤلمة في أيامنا هذه، والتي تعود جذورها إلى نقص القوامة وضعف المسؤولية عند الرجال، من ذلك:
  - حاجة المرأة لغير وليّها كالسائق، وشركات التوصيل، وسيارات الأجرة. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تسافِرَنَّ امرأةٌ وإلا معها محرمٌ. فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ، اكتُتِبت في غزوةِ كذا وكذا، وخرجت امرأتِي حاجةً، قال: "اذهبْ، فحُجَّ مع امرأتِك" رواه البخاري ومسلم، وفي رواية عند الترمذي: "لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ".
  - الخروج لغير حاجة والمكث خارج المنزل الساعات الطوال. وتأمل حال الفتاتين وسبب خروجهما "وأبونا شيخ كبير"، وينم ذلك عن خطر خروجها بغير محرم فكيف لو كان بغير حاجة. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "المرأةُ عورةٌ، فإذا خرَجَتْ اسْتَشْرَفَها الشيطانُ" رواه الترمذي، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن المرأةَ تقبلُ في صورةِ شيطانٍ، وتدبرُ في صورةِ شيطانٍ" رواه مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لو أدرَك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما

أحدَثَ النساءُ، لمَنَعَهُنَّ كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيلَ، قُلْتُ لعَمرَةَ: أوَ مُنِعْنَ؟ قالتْ: نعم. رواه البخاري ومسلم. وهذا في شأن الخروج للمسجد، فكيف بما دونه وهو الغالب.

- ضعف القوامة (المالية، الجسدية، المعنوية، والقيام على الحاجات بشكل عام).
- ضعف الحياء وضمور العفة عند بعض النساء، فتجدها خراجة ولاجة، تزاحم الرجال وتخضع بالقول، فعن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة رضي الله عنه أنه سمع رسول صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال بالنساء في الطريق: "استأخِرْنَ؛ فإنه ليس لكن أن تَحْقُقْنَ الطريقَ عليكن بحافَاتِ الطريقَ، فكانت المرأةُ تلتصقُ بالجدارِ حتى إن ثوبَها ليتعلَّقُ بالجدارِ من لصوقِها به." رواه أبو داود وحسنه الألباني. عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ". أخرجه البخاري. أخرج الإمام أحمد والحاكم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِى دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلاَّ وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ. وفي الصحيحين عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هذِهِ المرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَلَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتكَشَّفُ، فَادْعُ الله لِي، قَالَ: "إِنْ شِئْتِ، صَبَرْتِ؛ وَلَكِ الجَنَّةُ. وَإِنْ شِئْتِ، دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيكِ"، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ: فَادْعُ الله أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. فكيف لهذه المبتلاه أن تخشى التكشف، ولصحيحة معافاه تأنس به وتطلبه.

إذن "قَرْن في بيوتكن"، والتوازن بين الخروج لحاجة وبين الخروج لغير ذلك، وفي قراءة "وقِرْن"، والأولى تعني القرار في البيت، والثانية الوقار، وكلاها صحيح، وتأمل نسبة البيت للمرأة: "واذكرن ما يتلى في بيوتكن"، "لا تخرجوهن من بيوتهن"، ودلالة ذلك ظاهرة في حق المرأة ببيتها قراراً وحكماً. وتأمل قول الله تعالى: "فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" (الرحمن:56)، وقوله: "حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ" (الرحمن:72)، قال ابن كثير في تفسيره عن الآيتين: "حور مقصورات في الخيام"، وهناك قال: "فيهن قاصرات الطرف"، ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت، وإن كان الجميع مخدرات. قال ابن عباس: في الخيام: في الحجال، لسنا بالطوافات في الطرق.

وصدق الأول حين قال:

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له و تتقي مربضَ المستنفرِ الحامي

تأملات في السنة:

1- مع فاطمة رضي الله عنها (رحمتها وقضاء حاجتها):

عدم القيام على حاجة الفتيات بالشكل المطلوب، وترك الحبل على الغارب في خروجها مع السائق، وغيابها عن أنظار الأسرة، وهو ما نشاهده يومياً في الأسواق والشوارع والمستشفيات، فغالب النساء ليس معهن عائل سوى السائق الذي يقود المركبة، بل وكثيرٌ رأيناهن على قارعة الطرقات يستقللن سيارات الأجرة. أيها الرجل انظر في هذا الحديث وتمعّن معي جيداً فيه؛ ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي قال: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا" وضم أصابعه. وإنما كانت هذه الفضائل المعدة لمن قام على حقوقهن بسبب ضعفهن وعدم قدرتهن على مجابهة شظف العيش لوحدهن فكان هذا الفضل والأجر، ويرى الباحثون أن البنات الصغيرات يتصفن بالتبعية والاعتماد على الآخرين، بينما الأولاد الصغار يتمتعون بالاستقلال، ولو أقيم حاجز بين الأطفال الصغار وأمهم، فالذكور منهم يحاولون رفع هذا الحاجز، بينما البنات يقفن حاجزات ويبدأن بالصراخ والعويل.

واسمع لشيء من مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابنته فاطمة رضي الله عنها فقد شكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، قال علي: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم فقال: "مكانك"، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، ثم قال: "ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم" رواه البخاري. إنه الحب والاهتمام الذي ساق الأب الحنون للمضي لابنته يتفقد حاجتها، ويستمع لشكواها، ويحقق رغباتها، حتى ولو زوجها قائم على شأنها. بل لم يستطع أن يؤجل القدوم لها صباحاً فضلاً أن ينتظرها تأتيه مرة أخرى.

2- مع نسائه (لما امتنع منهن شهراً):

عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي اللهُ تعالى عنهما قال: لم أزَلْ حريصًا على أن أسأَلَ عُمَرَ رضي اللهُ عنه، عن المرأتينِ من أزواجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اللتينِ قال اللهُ لهما: إن تتوبا إلى اللهِ فقد صغَتْ قلوبُكما، فحجَجْتُ معَه، فعدَل وعدَلْتُ معَه بالإداوَةِ، فتبرَّزَ، حتى جاء فسكَبْتُ على يدَيه من الإداوَةِ فتوضَّأ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، مَنِ المرأتانِ من أزواجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، اللتانِ قال اللهُ عز وجل لهما: إن تتوبا إلى اللهِ، فقال: واعجبي لك يا ابنَ عباسٍ، عائشةُ وحفصَةُ، ثم استقبَل عُمَرُ الحديثَ يسوقُه، فقال: إني كنتُ وجارٌ لي من الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ، وهي من عوالي المدينةِ، وكنا نتناوَبُ النزولَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فينزِلُ يومًا وأنزِلُ يومًا، فإذا نزَلتُ جئتُه من خبرِ ذلك اليومِ من الأمرِ وغيرِه، وإذا نزَل فعَل مثلَه، وكنا مَعشرَ قريشٍ نغلِبُ النساءَ، فلما قدِمْنا على الأنصارِ إذا هم قومٌ تغلِبُهم نساؤُهم، فطفِق نساؤنا يأخُذنَ من أدبِ نساءِ الأنصارِ، فصِحتُ على امرأتي فراجعَتْني، فأنكَرتُ أن تراجِعَني، فقالتْ: ولم تُنكِرْ أن

أُراجِعَك، فواللهِ إن أزواجَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليُراجِعْنَه، وإن إحداهُنَّ لتَهجُرُه اليومَ حتى الليلِ، فأفزَعني، فقلتُ: خابَتْ مَن فعَل منهن بعظيمٍ، ثم جمَعتُ عليَّ ثيابي فدخَلتُ على حفصةَ، فقلتُ: أيْ حفصةُ، أتُغاضِبُ إحداكنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اليومَ حتى الليلِ؟ فقالتْ: نعمْ، فقلتُ: خابتْ وخسِرَتْ، أفتأمَنُ أن يغضَبُ اللهُ لغضبِ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فتهلِكينَ، لا تستكثِري على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ولا تُراجِعيه في شيءٍ ولا تَهجُريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يَغُرَّنَّكِ أن كانتْ جارتُك هي أوضَأُ منك وأحبُّ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (يريدُ عائشةَ) وكنا تحدَّثْنا أن غسَّانَ تنعَّلَ النِّعالَ لغزوِنا، فنزَل صاحبي يومَ نوبتِه، فرجَع عِشاءً، فضرَب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أنائمٌ هو، ففزِعتُ، فخرَجتُ إليه، وقال: حدَث أمرٌ عظيمٌ، قلتُ: ما هو أجاءَتْ غسَّانُ؟ قال: لا، بل أعظمُ منه وأطولُ، طلَّق رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نساءَه، قال: قد خابتْ حفصةُ وخسِرَتْ، كنتُ أظنُّ أن هذا يوشِكُ أن يكونَ، فجمَعتُ عليَّ ثيابي فصلَّيتُ صلاةَ الفجرِ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فدخَل مَشرُبَةً له فاعتزَل فيها، فدخَلتُ على حفصةَ، فإذا هي تبكي، قلتُ: ما يُبكيكِ، أو لم أكُنْ حذرتُكِ، أطلقَكنَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ قالتْ: لا أدري، هو ذا في المِشرُبَةِ، فخرَجتُ فجِئتُ المِنبرَ، فإذا حولَه رَهطٌ يَبكي بعضُهم، فجلَستُ معَهم قليلًا، ثم غلَبني ما أجِدُ، فجِئتُ المِشرُبَةَ التي هو فيها، فقلتُ لغلامٍ له أسوَدُ: استأذِنْ لعُمَرَ، فدخَل فكلَّم النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثم خرَج فقال: ذكرتُك له فصمَت، فانصرَفتُ حتى جلَستُ معَ الرَّهطِ الذين عِندَ المِنبرِ، ثم غلَبني ما أجِدُ فجِئتُ فذكَر مثلَه، فجلَستُ معَ الرَّهطِ الذين عِندَ المِنبرِ، ثم غلَبني ما أجِدُ فجِئتُ الغلامَ، فقلتُ: استأذِنْ لعُمَرَ، فذكَر مثلَه، فلما وَلَّيتُ مُنصَرِفًا فإذا الغلامُ يدعوني، قال: أذِن لك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فدخَلتُ عليه، فإذا هو مضطَجِعٌ على رمالِ حصيرٍ، ليس بينه وبينه فراشٌ، قد أثَّر الرمالُ بجنبِه، متكئٌ على وِسادةٍ من أَدَمٍ، حشوُها لِيفٌ، فسلَّمتُ عليه، ثم قلتُ وأنا قائمٌ: طلَّقتَ نساءَك؟ فرفَع بصرَه إليَّ، فقال: "لا"، ثم قلتُ وأنا قائمٌ أستأنِسُ: يا رسولَ اللهِ، لو رأيتَني وكنا معشرَ قريشٍ نغلِبُ النساءَ، فلما قدِمْنا على قومٍ تغلِبُهم نساؤهم، فذكَره، فتبسَّم النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثم قلتُ: لو رأيتَني ودخلتُ على حفصةَ فقلتُ: لا يغُرَّنَّكِ أن كانتْ جارتُكِ هي أوضَأُ منكِ وأحبُّ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (يريدُ عائشةَ) فتبسَّم أخرى، فجلَستُ حين رأيتُه تبسَّم، ثم رفعتُ بصري في بيتِه، فواللهِ ما رأيتُ فيه شيئًا يرُدُّ البصرَ، غيرَ أُهبَةٍ ثلاثةٍ، فقلتُ: ادعُ اللهَ فليوسِّعْ على أمتِك، فإن فارسَ والرومَ وُسِّعَ عليهِم وأُعطوا الدنيا، وهم لا يعبُدونَ اللهَ، وكان مُتَّكِئًا، فقال: "أوَ في شكٍّ أنت يا ابنَ الخطَّابِ؟ أولئك قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم في الحياةِ الدنيا"، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ استغفِرْ لي، فاعتزَل النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من أجلِ ذلك الحديثِ حين أفشَتْه حفصةُ إلى عائشةَ، وكان قد قال: "ما أنا بداخِلٍ عليهِنَّ شهرًا"، من شدةِ مَوجِدَتِه عليهن حين عاتبَه اللهُ، فلما مضَتْ تِسعٌ وعِشرونَ، دخَل على عائشةَ فبدَأ بها، فقالتْ له عائشةُ: إنك أقسَمتَ أن لا تدخُلَ علينا شهرًا، وإنا أصبَحنا لتسعٍ وعِشرينَ ليلةً أعُدُّها عدًّا، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "الشهرُ تِسعٌ وعِشرونَ"، وكان ذلك الشهرُ تِسعًا وعِشرينَ، قالتْ عائشةُ: فأُنزِلَتْ آيةُ التخييرِ، فبدَأ بي أولَ امرأةٍ، فقال: "إني ذاكِرٌ لكِ أمرًا، ولا عليكِ أن لا تعجَلي حتى تستأمِري أبوَيكِ"، قالتْ: قد أعلَم أن أبوَيَّ لم يكونا يأمُراني بفِراقِك، ثم قال: "إن اللهَ قال: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ -إلى قولِه- عظيمًا"، قلتُ: أفي هذا أستأمِرُ أبوَيَّ، فإني أريدُ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرَةَ، ثم خيَّر نساءَه، فقُلْنَ مثلَ ما قالتْ عائشةُ. رواه البخاري ومسلم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: آلَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من نسائِه شهرًا، وكانتِ انفكَّتْ قدمُه، فجلَس في عُلَيَّةٍ له، فجاء عُمَرُ فقال: أطَلَّقْتَ نساءَك؟ قال: " لا، ولكنِّي آلَيتُ منهنَّ شهرًا "، فمكَث تسعًا وعِشرينَ ثم نزَل، فدخَل على نسائِه. رواه البخاري.

وتأمل كيف كانت إدارة المشكلة الأسرية، ولم تتعد للسب والشتم والطرد واللعن والإهانة.

3- (غارت أمكم):

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: "غارت أمكم"، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت. رواه البخاري.

يستفاد كيف كان احتواء الموقف ومراعاة غريزة المرأة.

وتأمل حديث عائشة قالت: ما غرت على نساء النبيّ إلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله إذا ذبح الشاة فيقول: "أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة"، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة؟، فقال رسول الله: "إني قد رزقت حبها" رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وفي ذلك حسن العشرة والوفاء.

4- (حادثة الإفك):

قالت عائشة رضي الله عنها في حديثها الإفك: ".. فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت.." رواه البخاري ومسلم.

وفيها هذا اللطف مهما كانت التهمة، والتثبت وعدم العنف.

وقد كثرت حوادث الظلم والهجران التي تتعرض لهن الفتيات، وهذا يحدث في صور كثيرة، والسجون والمحاكم خير شاهدة في ذلك، فحقوقهن في المواريث مضيعة، وقضايا العضل بدأت تنمو بشكل رهيب، وتهميش دورها في المنزل

والجفاء معها في التعامل سمة بارزة في أغلب البيوت، والتسلط الذكوري الذي طوقته عادات المجتمع على عنقها وهو كل يوم يزيد حبس أنفاسها، وغير ذلك الكثير.

وفي صحيفة اليوم بتاريخ 1433/2/11هـ كشفت إحصائية عن عدد حالات هروب الفتيات بسبب العنف الأسري وصل إلى 1400 حالة خلال عام واحد في المملكة. وقال رئيس اللجنة النفسية والاستشاري النفسي والأسري بالغرفة التجارية الدكتور مسفر المليص خلال ندوة العنف الأسري التي نظمتها اللجنة النفسية بالغرفة التجارية بجدة مؤخراً إن هذا العدد جاء نتيجة ارتفاع معدلات الطلاق والتي أحياناً ما يتزامن معها رصد عدد من الجرائم. وأضاف المليص أن نسبة العنف الأسري وصلت بحسب الإحصائيات إلى أن 45 بالمائة من الأطفال معنفون، وهروب أكثر من 1400 فتاة من منزل الأسرة خلال عام واحد، بالإضافة إلى رصد أكثر من 26.6 بالمائة من قضايا الإهمال و22.8 بالمائة من قضايا سوء المعاملة النفسية للأطفال، بالإضافة إلى 12.2بالمائة سوء المعاملة الجسدية.

إنّ الخوف بدأ يحلِّق حول مجتمعنا نتيجة إهمال الفتيات وضعف العناية بهن والقيام عليهن، وهذا الإهمال جبذهن لكثيرٍ من الكوارث وعلى رأسها الرغبة في الخروج من سيطرة البيت، والعصيان على المقدسات الشرعية، والتقاليد العرفية، حتى أصبح التبرج والسفور ومقارفة الفواحش في كليات البنات ومدارس المرحلة الثانوية والمتوسطة سمة طبيعية في شرذمة منهن لا ينكره عليهن إلا الغرباء.

5- الحج بهن كلهن رضي الله عنهن:

وهذا دلالة على القيام بحقهن في العبادة.

6- يستمع لأم سلمة في مشورتها:

روى الإمام أحمد بسنده من طريق المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قصة صلح الحديبية في حديث طويل، ذكر فيه أنه لما تم الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أيها الناس انحروا واحلقوا"، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فقال: "يا أم سلمة! ما شأن الناس؟"، قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك، فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون.

7- السفر واللعب معهن:

عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت فسابقته (أي أجريت معه سباقا) فسبقته على رجلي فلما حملت اللحم (أي سمنت) سابقته فسبقني فقال: "هذه بتلك السبقة" رواه أبو داود.

ومن الدروس: اللعب معهن ومشاركتهن.

8- يتحدث لصفية وهو معتكف:

عن صفية بنت حيي رضي الله عنها: كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في المسجدِ، وعِندَه أزواجُه، فرُحْنَ، فقال لصفيةَ بنتِ حُيَيٍّ: "لا تعجَلي حتى أنصرِفَ معَك"، وكان بيتُها في دارِ أسامةَ، فخرَج النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم معَها، فلقِيَه رجلانِ من الأنصارِ، فنظَرَا إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثم أجازا، وقال لهما النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "تعالَيا، إنها صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ"، قالا: سبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ، قال: "إن الشيطانَ يَجري من الإنسانِ مَجرى الدمِ، وإني خَشيتُ أن يُلقِيَ في أنفسِكما شيئًا". رواه البخاري ومسلم.

وتأمل كيف السماع لهن وعدم تركهن، بل وقضاء حوائجهن وإيصالهن للاطمئنان عليهن.

9- صفية تركب على ركبته:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَدِمْنا خيبرَ، فلما فتحَ اللهُ عليه الحِصْنَ ذُكِرَ له جمالُ صفيةِ بنتِ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، وقد قُتِلَ زوجُها وكانت عروسًا، فاصطفاها النبيُّ صلى الله عليه وسلم لنفسِه، فخرَجَ بها حتى بلَغْنا سدَّ الصَّهْبَاءِ حلَّتْ، فبَنَى بها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثم صَنَعَ حَيْسًا في نَطْعٍ صغيرٍ، ثم قال: "آَذِنْ مَن حولَك"، فكانت تلك وليمتَه على صَفِيَّةَ، ثم خرَجْنا إلى المدينةِ، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَحْوِي لها وراءَه بعباءةٍ، ثم يَجْلِسُ عندَ بعيرِه فيَضَعُ ركبتَه، وتضعُ صفيةُ رجلَها على ركبتِه حتى تركَبَ. رواه البخاري.

وتأمل (الرومانسية) في أبهى صورها، والتي لا يحلو للبعض إلا رؤيتها في غير الإسلام، وأيضاً إعانتهن بلا حرج أو تذمر.

10- يأكل ويشرب معها وهي حائض:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أتعرق العظم وأنا حائض (أي تأكل اللحم اللاصق بالعظم)، فيأخذه رسول الله فيضع فمه حيث كان فمي، وأشرب من الإناء فيأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع فمه حيث كان فمي. رواه ابن ماجه.

وليس مقصوده من تتبع موضع فمها إلا تطييب خاطرها والتعبير عن محبته لها. والمؤانسة والمجالسة ولو كان معها العذر.

11- يغتسل معهن في إناء واحد، وبفضلهن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بفضل ميمونة. رواه أحمد ومسلم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن ميمونة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ بفضل غسلها من الجنابة. رواه أحمد وابن ماجه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اغتسل بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في جفنة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليتوضأ منها أو يغتسل، فقالت له: يا رسول الله إني كنت جنبًا، فقال: "إن الماء لا يجنب". رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وما رواه البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنهما قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد من الجنابة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد تختلف أيدينا فيه من الجنابة. متفق عليه، وفي لفظ للبخاري: من إناء واحد نغترف منه جميعًا، ولمسلم: من إناء بيني وبينه واحد فيبادرني فيه حتى أقول: دع لي، دع لي، وفي لفظ النسائي: من إناء واحد يبادرني وأبادره حتى يقول: دعي لي وأنا أقول: دع لي.

12- (ما عاب طعاماً قط):

تقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري: ما عاب رسول الله طعاماً قط، إن اشتهى شيئاً أكله، وإلا تركه.

ففيه أنه يقدر الجهد، ويحرص على المشاعر بعد أي إنجاز.

13- (إن أزواج النبي ليراجعنه):

عن عمر بن الخطاب قال: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحتُ على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟! فوالله، إن أزواج النبي ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. رواه البخاري ومسلم.

وفيه اتساع روح النبي عليه الصلاة والسلام للحوار والنقاش.

14- الانفتاح الثقافي:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: "دَعْهُمَا" فَلَمَّا غَفَلَ، غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَإِمَّا قَالَ: "تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ"، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: "دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ"، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: "حَسْبُكِ؟"، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاذْهَبِي" رواه البخاري ومسلم.

وفيه الترشيد في الانفتاح الثقافي دون منع قسري، والمشاركة أيضاً.

15- (كان في مهنة أهله):

في صحيح البخاري عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

قال ابن حجر: وقد وقع في حديث آخر لعائشة أخرجه أحمد وصححه ابن حبان، من رواية هشام بن عروة عن أبيه، قلت لعائشة: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟، قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم. فتح الباري.

وكان الإمام مالك أحسن الناس خُلقاً مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك، ومثراة في مالك، ومنسأة في أجلك. (ترتيب المدارك 118/1). وطالب العلم أولى الناس بالتأسي بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن خلقه ومعاملته مع أهله وأسرته.

16- الشق المائل:

أمر الله تعالى بالعدل بين الزوجات، وجاء الوعيد في ظلم بعضهن على حساب بعض.

قال الله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا" (النساء:3).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: أي: مَنْ أحب أن يأخذ اثنتين فليفعل، أو ثلاثاً فليفعل، أو أربعاً فليفعل، ولا يزيد عليها؛ لأن الآية سيقت لبيان الامتنان، فلا يجوز الزيادة على غير ما سمى الله تعالى، إجماعاً؛ وذلك لأن الرجل قد لا

تندفع شهوته بالواحدة، فأبيح له واحدة بعد واحدة، حتى يبلغ أربعاً؛ لأن في الأربع غنية لكل أحد، إلا ما ندر، ومع هذا فإنما يباح له ذلك إذا أمِن على نفسه الجور والظلم، ووثق بالقيام بحقوقهن.

فإن خاف شيئاً من هذا: فليقتصر على واحدة، أو على ملك يمينه، فإنه لا يجب عليه القسم في ملك اليمين.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا كَانَ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ". وفي رواية: "أَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ" رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وصحح الألباني الروايتين في "صحيح الترغيب والترهيب".

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله: قال الطيبي في شرح قوله (وشقه ساقط): أي: نصفه مائل، قيل: بحيث يراه أهل العرصات ليكون هذا زيادة في التعذيب. "تحفة الأحوذي" (4 / 248). والمراد بذلك: العدل في المبيت والسكن والنفقة والكسوة.

ومعنى العدل في المبيت: أن يقسم وقته بين نسائه بالعدل، فإذا بات عند الأولى ليلة أو ليلتين، بات عند كل واحدة من نسائه بقدر ذلك. ومعنى العدل في السكن: أن يكون لكل واحدة منهن مسكناً خاصًّا يأتيها فيه، ويجب أن لا تكون مساكنهن متفاوتة بقصد الظلم. ومعنى العدل في النفقة والكسوة: أن ينفق عليهن على قدر الوسع والطاقة. وأما ما عدا ذلك فلا يضره أن لا يعدل بينهم، كأن يهدي لواحدة منهن هدية، أو يميل قلبه إلى واحدة منهن، أو يكسوها فوق الواجب عليه، أو يجامع واحدة أكثر من غيرها دون قصد الإضرار بغيرها، فإن عدل كان أفضل.

و من العدل بين الزوجات: أن يقرع الزوج بينهن إذا أراد السفر بإحداهن دون الباقيات، وهذا هو هديه صلى الله عليه وسلم مع نسائه.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ. رواه البخاري ومسلم.

خامساً: الخاتمة:

إن دور المرأة عظيم حيث عظمه الإسلام قبل أي قوانين وشرائع، والناظر لتاريخ الأمم يجد كثيراً من الممارسات الإقصائية لدور المرأة ومركزها في الأسرة والمجتمع، بداية من مجتمع الروم والفرس أيضاً حيث تباع وتشترى، وتعامل كالبهيمة والمتاع، حتى العصر الجاهلي، فكان الرجل إذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب مالها. فأتى الإسلام ليعظم دورها أماً، وبنتاً، وأختاً، وزوجاً ويصف طريق حشمتها وصيانتها، ويبين الدليل الشامل لحقها في الميراث، والرأي في الزواج، والحقوق على القريب والبعيد، وكذلك سبلها لتحصن نفسها، وتحمي عرضها، ولم يمانع من أن تدلف مع عملها الأساس ومهمتها الأصيلة في تربية أبنائها، وصيانتها لحق زوجها في أي عمل شريف لها.

إنا بحاجة لوجود تلكم البرامج والمحاضن والمؤسسات التي تحوي الفتيات، بقوالب عصرية، ومحتوى أصيل بحيث يتم الإفادة من هذه الطاقات الكامنة في سبيل خدمة أمتها ومجتمعها، ولتكن هذه البرامج موجهة في بداية الأمر إلى أن تُخرج أمهات صالحات مربيات، وانظر للدول المتقدمة، فإنك تجد تحولاً ورغبةً من قبل الفتيات إلى أن يعدن أمهات في بيوتهن، ففي مجلة الأسرة- العدد107- صفر 1423هـ فإن 97.7 من الفتيات اليابانيات يذهبن إلى المدارس الثانوية- لا تتجاوز نسبة مشاركتها في مجال العمل 38%، ولا تنسى أوروبا تلك المظاهرة التي اخترقت شوارع كوبنهاجن وشارك فيها أعداد كبيرة من الفتيات وطالبات الجامعات وحملت لافتات تقول (نرفض أن نكون أشياء)، (سعادتنا لا تكون إلا في المطبخ)، (يجب أن تبقى المرأة في البيت)، (أعيدوا إلينا أنوثتنا)، وتقول الكاتبةُ (آرنون): (لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادمَ خيرٌ وأخفُّ بلاءً من اشتغالهن بالمعامل، حيثُ تصبحُ المرأة ملوثةً بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة).

إنها دعوةٌ لأهل الشأن والاختصاص وكلنا ذلكم المهتم، أن نلتفت لجنس الأنثى في حياتنا وأن تُسخر كل الإمكانيات لإبقاء أنوثتهن وعفتهن التي تكفل الإسلام بحفظها لهن، وقد قال الله عنهن: "أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ" (الزخرف: 18). وفيها دلالة على ضعفهن وعوزهن عن الحجة والبيان، فهنّ المنشّآت في الحُلي، المستحقات للعطف والإعفاف، والصون.

والدعاء خير مطية وأسهل طريق لأعظم مرجو ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.

وكتبه

سعيد بن محمد آل ثابت

المحتويات

أولاً: تمهيد: 4

ثانياً: مقدمات:.. 5

ثالثاً: لماذيات؟.. 8

حقهن في الإسلام وفضيلة ذلك.. 8

الزوجات والنساء عموماً: 8

البنات خصوصاً: 8

الحرمان العاطفي (جريمة العصر). 11

فضيلة التربية والاهتمام بالأبناء: 13

رابعاً: كيف نرفق بالقوارير:... 14

أ: تأملات في القرآن: 14

ب: تأملات في السنة: 17

1- مع فاطمة رضي الله عنها (رحمتها وقضاء حاجتها): 17

2- مع نسائه (لما امتنع منهن شهراً):.. 17

4- (حادثة الإفك):... 19

5- الحج بهن كلهن رضي الله عنهن: 20

6- يستمع لأم سلمة في مشورتها:.. 20

7- السفر واللعب معهن:.. 21

8- يتحدث لصفية وهو معتكف: 21

9- صفية تركب على ركبته:.. 21

10- يأكل ويشرب معها وهي حائض: 21

11- يغتسل معهن في إناء واحد، وبفضلهن: 22

12- (ما عاب طعاماً قط):.. 22

13- (إن أزواج النبي ليراجعنه): 22

14- الانفتاح الثقافي:...... 23

15- (كان في مهنة أهله):.. 23

16- الشق المائل:.......... 23

خامساً: الخاتمة: 24